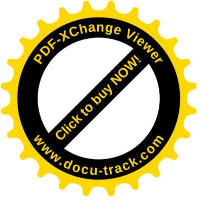
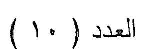



مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية

المجلد (١٣) العدد (١٠) كانون الأول (٢٠٠٦)



الصوت في القرآن الكريم
أنماطه ودلالاته

الدكتور: يونس حمش خلف

معهد إعداد المعلمات/ الموصل

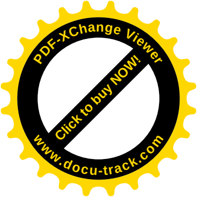
المقدمة

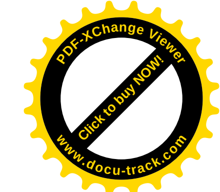
اللغة العربية من اللغات الحية، فهي تنمو وتتطور كالكائن الحي، ولها سبلها ووسائلها في الإثراء والخلق والإبداع. كما أنها تعرف بانسيابية ألفاظها وجماليتها في التعبير، ولذلك توصف بأنها لغة موسيقية.

وقد درجت اللغة العربية عبر تاريخها الطويل على السير وفق القوانين اللغوية التي اتسمت بها اللغات العالمية. لأن اللغة ظاهرة اجتماعية وفكرية، لذا فإنها خضعت لقوانين التطور اللغوي التي هي حالة حتمية في جميع اللغات. سواء كان ذلك في حالة تركيب المفردات، أو في اختراع مفردات جديدة وفق النظام الصوتي الذي يحكم اللغة فهناك مفردات تهمل وتترك فيكتب لها الموت بعد مدة من الزمان؛ إذ تختفي من الاستعمال اللغوي فتبقى جثة هامدة في بطون كتب اللغة فحسب.

في حين نجد أن هناك مفردات تظهر إلى الوجود؛ إذ تولد من رحم اللغة عن طريق الاشتقاق أو التعريب، أو عن طريق عوامل الإثراء اللغوي الأخرى.

وقد يحدث التطور في المفردة ذاتها، فهذه القبيلة تميل إلى إظهار هذا الصوت، وقبيلة أخرى تعمل على إخفائه أو التقليل من الاستعمال له، وهذا ناتج عن مؤثرات اجتماعية، أو إن البيئة تتدخل في مثل هذه الظواهر اللغوية، كما هي الحال مع الهمزة التي تعمل اللغة على تسهيلها في البيئة الحضرية، أمّا البيئة البدوية فنجد أن اللغة في الغالب تميل إلى تحقيق الهمزة أو إظهارها.





وقد يكون للبيئة تأثير في ثراء المفردات اللغوية، فلكل قبيلة من القبائل طائفة من المفردات التي تستأثر بها دون غيرها، وبمرور الزمن تنتقل إلى بقية القبائل، فتصبح هذه المفردات من جملة المفردات اللغوية التي اكتسبتها اللغة وهكذا..

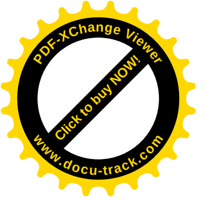
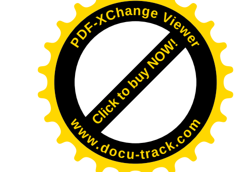
وهناك صلة ما بين الألفاظ ودلالاتها في اللغة العربية، وتتجلى في طائفة من الألفاظ اللغوية التي وردت في القرآن الكريم الذي يعد المثل إلا على للبيان العربي، كما انه كتاب العربية الأكبر،..

وهذه دراسة في الصوت اللغوي الذي ورد في القرآن الكريم في أنماط متعددة، ومن ذلك ظاهرة تكرير الصوت في الفعل الرباعي المضعف مثل: زلزل ودمدم وزحزح وصرصر وكبكب وما إليها، إذ يتكرر الصوت الأول والثاني، فيصبح الصوت الأول والثالث، والثاني والرابع من جنس واحد. وقد يكون تكرير الصوت عن طريق مضاعفة الصوت الثاني كما في غلّق وقطّع وما شاكلهما.

وعمدت اللغة إلى زيادة الدلالة عن طريق أسلوب آخر، هو زيادة الأصوات في بنية الكلمة، فكلما كان المبنى في المفردات كثيرا زادت دلالاتها، لأن الزيادة في المبنى يتبعها زيادة في المعنى، مثل: اكتسب، واثاقلتم وغيرهما من الألفاظ.

ولا يقتصر الأمر في زيادة الدلالة على المبنى، بل قد يكون في الصفات التي يحملها الصوت، فهناك الأصوات المستعلية والمجهورة والمهموسة والمستمرة والانفجارية أو الشديدة، فيوصف الصوت بأنه شديد أو رخو كل ذلك يؤثر في الدلالة قوة أو ضعفا، زيادة أو نقصا كما سنلاحظ ذلك في أثناء البحث.

وقد انتظم البحث في عدة مباحث، تناول الأول حالة التكرير في الفعل الرباعي، وجاء المبحث الثاني في التبادل الصوتي، وضم المبحث الثالث: الزيادة في المبنى، وكان المبحث الرابع من نصيب الحروف المقطعة في أوائل السور، وتحدث المبحث الخامس عن الغرابة في اللفظ، واختتمت المباحث بالحديث عن الهاء في نهاية الكلمة.

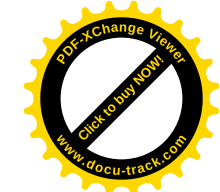
ان فكرة المناسبة بين الصوت والمعنى قديمة؛ اذ بدأت عند اليونان، ثم انتقلت إلى العلماء العرب الذين حملهم على الربط بين اللفظ ومدلوله اعتزازهم بألفاظ العربية وإعجابهم بها، ومن ثم حرصهم على الكشف عن أسرارها وخباياها(١).

ولم يقتصر الأمر على العلماء العرب فحسب، فان بعض المحدثين كان ميالا إلى القول بالمناسبة بين الألفاظ والدلالات، فمن الغربيين جسبرسن الذي كان ممن ينتصرون لأصحاب المناسبة بين الألفاظ ودلالاتها، غير انه حذر من المغالاة في هذا(٢).

وإلى مثل هذا الرأي ذهب الانطاكي إذ يقول: "الكلمات التي من قبيل (كودك) لها قيمة تعبيرية لا تنكر، وذلك أنها كلمات أشبه بأسماء الأصوات، فكلمة (كوداك) تصور لنا صورة هي صورة سمعية حتى وكأننا نسمع صوت المفتاح الذي يفتح الآلة لالتقاط الصورة ويغلقها"(٣).

ويبقى القرآن الكريم معينا لا ينضب للبحث والدراسة، وتظهر فيه العلاقة بين أصوات الألفاظ ودلالاتها قوية جدا؛ إذ تتساوق مع عناية القرآن الكريم بالجرس والإيقاع في الأصوات والمقاطع والعبارات (٤).

وهذه محاولة لإظهار ما في القرآن الكريم من ترابط ما بين الصوت اللغوي ودلالاته، أرجو أن أكون قد وفقت في إظهار جانب منها، فان أصبت فمن الله الكريم الفضل والإحسان، وان قصرت فهذا شأن الجهد البشري، وحسبي أني عملت ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات.

المبحث الأول

التكرير في الصوت لتكرير الدلالة

أ. التكرير في الفعل الرباعي المضعف

من المظاهر اللغوية التكرير في الأصوات اللغوية، فمن المعلوم أن اللغة العربية ترجع في أصولها إلى البناء الثلاثي في الغالب، وهناك طائفة من الألفاظ ثنائية التركيب، وحين نجد تركيبا رباعيا أو خماسيا فإنما الأصل فيه الثلاثي، وسنعرض مجموعة من الألفاظ التي وردت في الاستعمال القرآني لنتعرف على كيفية التناسب بين تكرير الصوت وتكرير الدلالة فيها وهذه المجموعة: يتكرر فيهما الصوت الأول مع الثالث، والثاني مع الرابع:

١. حصحص

الأصل في هذه المادة (حصص) ومعناه وضح وانكشف، قال الزجاج اشتقاقه في اللغة من الحصة، أي تبينت حصة الحق من حصة الباطل، عندما نقول حصحص الحق. وتأتي الحصحصة بمعنى المبالغة، يقال: حصحص الرجل إذا بالغ في أمره [٥]. وهذه المبالغة هي نتيجة لزيادة صوت الحاء فأصبح بناء الكلمة رباعيا بعد أن كان ثلاثيا.

وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم مرة واحدة في قصة يوسف عليه السلام، على لسان امرأة العزيز، قال تعالى: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (يوسف: ٥١). فمعنى حصحص هو ظهور الحق وانكشافه وتمكنه في القلوب والنفوس، كما يقال حصحص البعير واستقر في الأرض [٦].

٢. دمدم

تأتي الدمدمة في اللغة لعدة معان، اذ يقال لصوت الهرة دمدمة، ويقال دمدم فلان في كلامه اذا اخرج صوتا غير مفهوم. ويقال ناقة مدمدمة إذا ألبسها الشحم، فإذا كررت الإطباق قلت دمدمت عليه [٧].

وجاءت مادة دمدم في موضع واحد من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ (الشمس: ١٤).

ومعنى دمدم ان العذاب قد أطبق عليهم وعمهم من جميع الجوانب، كما يقال للشيء السمين، كأنما دم بالشحم دما، اذ جعل الزجاج دمدم من هذا المعنى على التضعيف كما في كبكبوا وغيرها [٨].

٣. رفرف

يأتي الرفرف في اللغة بمعنى الحركة، إذ يقال: رفرف الطائر إذا حرك جناحيه، وهو لا يبرح مكانه، ويأتي بمعنى البساط، فيقال فرشوا لنا رفرفا، وهو ضرب من البسط الخضر[٩] وقد يأتي الرفرف بمعنى المنتشر من الأوراق [١٠].

وردت كلمة رفرف في القرآن الكريم في موضع واحد منه في وصف حال المؤمنين وما يجدونه من نعيم فيها، قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (الرحمن: ٧٦). والرفرف: اسم جنس يأتي بمعنى الجمع ومفرده رفرفة، والمعنى انهم متكئون على بسط تشبه الرياض. واذا كانت الرفرفة مأخوذة من الحركة، فهذا يعني انهم على تلك البسط المرفوعة التي ورد ذكرها في موضع آخر من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ (الواقعة: ٣٤) فالتكرير في الصوت يتبعه تكرير في دلالة هذه المادة، كما هي الحال في حركة البساط أو أجنحة الطائر.

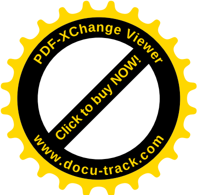
٤. زحزح

الزحزحة في اللغة هي التنحية والدفع عن الموضع قال ذو الرمة:

يا قابض الروح عن جسم عصى زمنا　　وغافر الذنب زحزحني عن النار [١١]

وبهذا المعنى جاء في الحديث الشريف أنه: (من صام يوما في سبيل الله زحزحه الله عن النار سبعين خريفا) [١٢].

وردت هذه المادة في موضعين من القرآن الكريم؛ اذ جاءت بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ




﴿الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥) ففي الزحزحة تكرير للزح الذي يعني الجذب بعجلة، فمن تخلص من العذاب ووصل إلى الثواب فقد فاز بالمقصد الأقصى والغاية التي لا مطلوب بعدها [١٣].

وجاء في الحديث ان الرسول ﷺ قال: **(من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليؤت إلى الناس ما يحب ان يؤتى اليه)** [١٤].

وكذلك وردت هذه المادة في القرآن، الكريم بصيغة الزحزحة قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٩٦). قال القاضي: المراد انه لا يؤثر في إزالة العذاب اقل تأثير، ولو قال تعالى: وما هو بمبعده وبمنجيه لم يدل على قلة التأثير كدلالة هذا القول [١٥]. ففي الزحزحة معنى ابلغ من الزح، فالقرآن الكريم يختار اللفظ المناسب في الموضع المناسب.

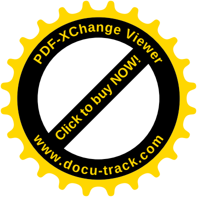
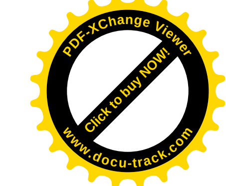
٥. زلزل

تأتي هذه المادة (زلّ) في اللغة بمعنى الحركة المعتادة، والزلة في الأصل: استرسال الرجل من غير قصد، يقال: زلت رجلٌ تزل والزلة: المكان الزلق، وقيل للذنب من غير قصد زلة تشبيها بزلة الرجل. والتزلزل يأتي بمعنى الاضطراب، اذ ان تكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزلل فيه [١٦].

وردت هذه المادة في القرآن الكريم بصيغة الفعل المبني للمجهول، كما وردت بصيغة المصدر في سورة الزلزلة، قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الزلزلة: ١) فالزلزال بالكسر المصدر، والزلزال بالفتح الاسم، والمعنى ان الارض حركت حركة شديدة، وفي ذلك تصوير ليوم القيامة.

وتأتي الزلزلة بمعنى الحركة، أي انك كررت تلك الازالة، فضوعف لفظه بمضاعفة معناه [١٧]. وكل ما كان فيه تكرير كررت فاء الفعل وعينه.

وجاءت هذه الكلمة بهذه الصيغة للتعبير عن هذه الحركة غير الاعتيادية، فهي ابلغ وأقوى في ذهن السامع، ومن اجل شدة هذه الحركة وصفها الله سبحانه وتعالى



بانها شيء عظيم في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج: ١)

٦. صرصر

الأصل في هذه المادة يرجع إلى الصر والصرة وهي شدة البرد. وصرصر تكرر فيها صوت الصاد والراء، وبهذه الصيغة وردت في القرآن الكريم وصفا للريح، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٦).

ويأتي الصرصر بمعنى الصوت أيضا، قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر [١٨].

ولما كانت الريح الشديدة يكون لها صوت؛ لذا وصفت بالصرصر تشبيها لها بصوت البازي. وقد يكون معنى الصرصر: الشديدة البرودة، مثل الألفاظ الاخرى التي كررت فيها فاء الكلمة وعينها، فكأن البرد قد كرر فيها وكثر فهي تحرق بشدة بردها. وجاءت هذه الكلمة لتعبر عن الحالة ابلغ تعبير؛ اذ لا يمكن ان يسد غيرها مسدها بهذه الدلالة الصوتية الخاصة، لما تحمله من وقع تصطك له الاسنان ويشتد فيه اللسان، بجرس اصواتها الذي يضفي صورة الرهبة والفزع [١٩].

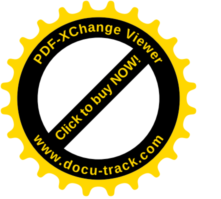
٧. عسعس

ذكر أهل اللغة ان عسعس من الأضداد، يقال: عسعس الليل اذا اقبل بظلامه، وعسعس اذا ادبر، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد هو ابتداء الظلام في أوله أو ادباره في آخره [٢٠]. ومما جاء بمعنى اقبل قول الشاعر:

مدرعات الليل لما عسعسا [٢١]

ووردت كلمة عسعس بمعنى الادبار في قول العجاج:

حتى اذا الصبح لها تنفسا   وانجاب عنها ليلها وعسعسا [٢٢]




وقد وردت هذه المادة في موضع واحد من القرآن، الكريم وصفا لليل، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ (التكوير: ١٧).

فالعسعسة: هي رقة الظلام في طرفي الليل، فاقسم الخالق سبحانه وتعالى باقبال الليل اذا عسعس وبادباره ايضا. وفي كل لفظ من هذا النوع فيه تكرير للصوت فان الدلالة فيه تتكرر ايضا للزيادة في المعنى واظهاره.

٨. كبكب

معنى الكبكبة في اللغة هي تدهور الشيء اذا القي في هوة حتى يستقر فيها، فكأنه تردد في الكب[٢٣]. ويرجع ذلك إلى تكرير الانكباب كأنه اذا القي ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر [٢٤].

وردت هذه المادة في القرآن الكريم بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول، قال تعالى: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾ (الشعراء: ٩٤). تتحدث الآية عن المشركين الذين اتخذوا من دون الله الهة، فيوم القيامة تكبكب الالهة ومن يعبدونها في نار جهنم. وحقيقة الكبكبة هي تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى، فجاء التعبير القرآني بهذه الصيغة، لأنها ابلغ من (كبوا) للاشارة إلى انهم يكبون كبا عنيفا فظيعا [٢٥].

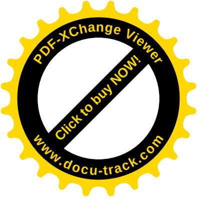
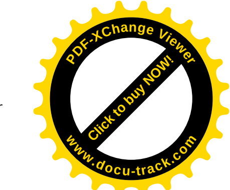
٩. وسوس

الاصل في هذه المادة هو دلالتها على الصوت، وهو مأخوذ من صوت الحلي، قال الاعشى:

تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت   كما استعان بريح عشرق زجل [٢٦]

ويقال لهمس الصائد وسواس ايضا، ومن ثم اطلق الوسواس على كل شيء خفي كالحظيرة الرديئة وما يوحي به الشيطان [٢٧]، يقال وسوس إليه الشيطان، ووسوس الرجل، قال الشاعر:

وسوس يدعو مخلصا رب الفلق [٢٨]

وردت هذه المادة في القرآن الكريم ست مرات، يراد بها وسوسة الشيطان، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ(٤)الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (الناس: ٤-٥). فجاءت بصيغة (الوسواس) الذي هو اسم للشيطان، والوسواس بالكسر هو حديث النفس وخطرات الشيطان. كما جاءت بصيغة الفعل المضارع (يوسوس)، قال ابو عبيدة: الوسوسة في القرآن الكريم: هي ما يلقيه الشيطان في القلب [٢٩].

واطلق (الوسواس) على الشيطان، الذي هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، سمي بذلك ايغالا في المبالغة في التعبير عنه، وكأنه وسوسة في نفسه؛ لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه والمراد به ذو الوسواس [٣٠].

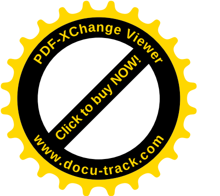
إن هذه الظاهرة في اللغة العربية، اعني التكرير في بنية الكلمة، قد استحسنها قسم من علماء اللغة، يقول ابن جني: "ان هذا موضع شريف لطيف، قد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته". وعن حالة التكرير في الكلمات السابقة، يقول ابن جني في موضع آخر: جعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر، فكلما ازدادت العبارة شبها بالمعنى كانت ادل عليه [٣١].

ب. التكرير في عين الفعل الرباعي

هناك صورة اخرى من صور التكرير، هي تكرير العين في الفعل الرباعي؛ اذ جعلوا تكرير الصوت دليلا على تكرير الفعل، فالأصوات تابعة للمعاني فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت ضعفت، ومن ذلك قولهم: قطع وقطّع، وكسر وكسّر، زادوا في الصوت لزيادة المعنى، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه [٣٢].

١. غلّق

تأتي صيغة (فعّلت) في اللغة بمعنى التكثير في الفعل، مثل قولهم: قتّلت القوم وفرّقت جمعهم، وغلّقت الابواب، ولكن ذلك لا يكون على الاطلاق؛ اذ تأتي هذه الصيغة احيانا ولا يراد بها التكثير، كما في قولهم: كلّمته وسوّيته وعلّمته وحيّيته وغذّيته وعشّيته وصبّحت المنزل [٣٣].





وردت كلمة غلّق في القرآن الكريم في قصة يوسف الكيلا، قال تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ (يوسف: ٢٣). اذ عدل التعبير القرآني عن صيغة (غلق) إلى (غلّق) لغرض بلاغي، قال الراغب: "اغلقت الباب أو غلّقته على التكثير، وذلك اذا اغلقت ابوابا كثيرة أو اغلقت بابا واحدا مرارا أو احكمت اغلاق باب" (٣٤).

والاصل في هذا مأخوذ من قولهم في كل شيء تشبث في شيء فلزمه قد غلّق يقال: غلق في الباطل وغلق في غضبه، ومنه غلق في الرهن، ثم يعدى بالالف فيقال: اغلق الباب اذا جعله بحيث يعسر فتحه. وجاء غلّقت على التكثير لأنها غلقت سبعة ابواب، ثم دعته إلى نفسها (٣٥).

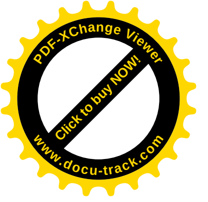
٢. قطّع

مادة (ق ط ع) تدل على صرم وإبانة شيء من شيء، يقال: قطعت الشيء أو اقطعه قطعا، اذا فصلته ومنه ما كان مدركا بالبصر كالاجسام أو مدركا بالبصيرة كالاشياء المعقولة، ومن ذلك قطع الاعضاء نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ (يوسف: ٣١).

فكانت المرأة من شدة دهشتها وحيرتها تقطع يدها، وهي تظن انها تقطع الفاكهة، جاء في اللسان وصفا لتلك الحالة: " قطعن ايديهن قطعا بعد قطع وخدشنها خدشا كثيرا، ولذلك شدد" (٣٦).

إن الزيادة الحاصلة في هذه الكلمات عن طريق التضعيف، وجدت لزيادة المعنى، وقد اكتفينا بمثالين للاستشهاد بهما على ذلك، وهذه الحالة في اللغة واسعة وكبيرة يقول عنها ابن جني: "زادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه، وكأن اصل هذا انما هو لتضعيف العين في نحو المثال: قطّع و كسّر وبابهما، وإنما جعلنا هذا هو الاصل، لأنه مطرد في بابه اشد من اطراد باب الصفة" (٣٧).

وعن دلالة هذه الصيغة (فعّل) في القرآن الكريم يقول ابو حيان: "إنها تدل على التكرير والتكثير، كما تدل على منتهى التفضيل اذ ان الزيادة في المبنى زيادة في




المعنى"[٣٨]، فجعلوا تكرير العين دالا على تكرير الفعل، نحو فرّح وكسّر فجعلوا قوة اللفظ لقوة المعنى[٣٩].

المبحث الثاني
التبادل الصوتي

حيث قوة الاداء التعبيري، اذ تتسأوق الأصوات في بنية الكلمة مع ما توجيه من دلالات تثيرها الصور الذهنية التي ترتسم في ذاكرة القارئ والسامع على حد سواء.

وهناك طائفة من الألفاظ تشترك في الدلالة على الشيء، بيد انها تختلف في صوت واحد عن الكلمة الاخرى، مما يضفي قوة دلالية للكلمة، بحيث تختلف عن الكلمة الاخرى وهذا ما سنلاحظه في الكلمات الآتية:

١. أزّ وهزّ

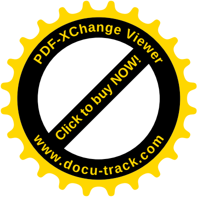
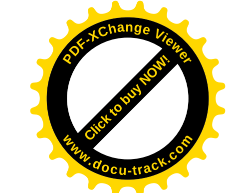
ان دلالة الاز في اللغة تشبه دلالة الهز، يقال: أزه أزا و أزيزا مثل هزه، وهي الحركة الشديدة، قال رؤبة:

لا يأخذه التأفيك والتحزي   فينا ولا قول العدى ذو الازّ [٤٠]

كما جاء الهز بمعنى الحركة في قول تأبط شرا:

اهز به في ندوة الحي عطفه   كما هزّ عطفي بالهجان الأوارك [٤١]

وردت كلمة أزّ في القرآن الكريم، في مقام الحديث عن الكفار، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ (مريم: ٨٣). والمعنى انها تحركهم تحريكا شديدا.

في حين جاء التعبير القرآني بكلمة (هزّ)، في الخطاب الالهي الموجه إلى مريم عليها السلام، قال تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ (مريم: ٢٥). ومعنى هزي: أي حركي جذع النخلة، ولأنه جذع يقتضي التحريك الشديد [٤٢].

فالاز والهز يأتيان بمعنى الحركة، وهما في اللغة بمعنى واحد؛ بيد ان اختلاف الصوتين ادى إلى اختصاص كل صوت بالحالة التي سيق من اجلها، يقول ابن جني: "الهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة، لأنها اقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز" [٤٣].

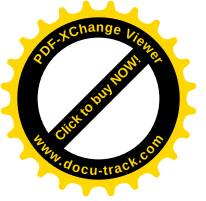
وهكذا نجد أن التعبير القرآني قد امتاز بالدقة في اختيار اللفظ المناسب للتعبير عن المقام بما يلائمه. ففي الحديث عن الكفار اختار الأزّ، لما في صوت الهمزة من شدة وصلابة، فالهمزة توصف بانها من اشد الحروف في اللغة العربية، وهي اكثر الأصوات ملاءمة للبيئة البدوية لما فيها من الشدة والقوة؛ لذا فانها ناسبت المقام الذي وردت فيه، على حين اختيرت الهاء في مقام الخطاب الموجه إلى مريم عليها لسلام، انسجاما مع الحالة النفسية التي كانت تتسم بالقلق والاضطراب، لما كان يكتنفها من ظروف اجتماعية؛ اذ كانت متهمة في عفتها، فكيف تضع امرأة وليدا من غير زوج، فكان صوت الهاء الذي يتصف بالهمس والرخاوة اكثر مناسبة للموقف الذي عبر عنه؛ فجاء الصوتان اكثر ملاءمة للحالة التي عبر عنها كل من الصوتين في هذين الموضعين المختلفين.

٢. بكة ومكة

ذهب قسم من علماء اللغة إلى ان اشتقاق بكة مأخوذ من الازدحام والتدافع، يقال بك الناس بعضهم بعضا اذا ازدحموا، قال الراجز:

اذا الشريب اخذته اكّة ... فخله حتى يبك بكّه [٤٤]

وقيل سميت بكة لأنها تبك اعناق الجبابرة اذا الحدوا فيها بظلم، قال عبدالله بن الزبير: لم يقصدها جبار قط بسوء الا وقصه الله عز وجل [٤٥].




والاصل في الملك ان يدل على المص أو الشرب، وهو مأخوذ من قولهم: امتككت المخ اذا مصصته، فسميت مكة بهذا الاسم لقلة مائها وكأن ماءها قد امتك، وكانوا يسمون الماء الذي يستخرجونه بهذا الاسم: المكة أو المكاكة، قال الشاعر:

يا مكة الفاجر مكي مكا　　ولا تمكي مذحجا وعكا [٤٦]

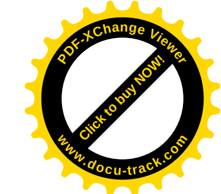
وهناك من يرى ان بكة ومكة اسمان لمسمى واحد، قال مجاهد: بكة هي مكة، وجعله نحو: سبد راسه وسمده، وضربة لازب ولازم في كون الباء بدلا من الميم [٤٧].

ولم ترد المادة في القرآن الكريم سوى مرتين، مرة بلفظ مكة واخرى بلفظ بكة، ففي معرض اشارة القرآن الكريم بالفضل والامتنان على المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ (الفتح: ٢٤).

وجاء لفظ بكة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦)

وذهب قسم من علماء اللغة إلى التفريق بين اللفظين، قال ابو عبيدة: بكة هي اسم لبطن مكة [٤٨]. وقال الطبري: "بكة موضع مزدحم الناس للطواف، فبكة موضع البيت ومكة ما سوى ذلك" [٤٩].

والراجح أنهما يحملان دلالة واحدة، لأن الباء والميم يحصل بينهما تبادل صوتي لا تحاد هذين الصوتين في المخرج والصفة، فهما صوتان مجهوران، ومخرجهما من الشفة. وقد يرجع الاختلاف في النطق إلى اختلاف البيئة التي تنطق بالباء أو الميم، تبعا للقبائل العربية، وان كان المفسرون لا يشيرون إلى من يقول بكة ولا يقولها بالميم [٥٠].

٣. سعد وصعد

ومن الألفاظ التي حصل بينها تبادل صوتي هاتين الكلمتين: صعد وسعد، اذ جعلوا الصاد لأنها اقوى، لما فيه اثر مشاهد وهو الصعود في الجبل ونحو ذلك. في حين جعلوا السين لضعفها لما لا يشاهد حسا؛ اذ ان فيه صعود الجد لا صعود الجسم.

وهكذا عملت اللغة على اختيار الأصوات متسأوقة مع ما تشير اليه من دلالات، فجعلوا الصاد لقوتها مع ما يشاهد من الافعال الصعبة، لأن الصاد تمتاز بصفة الاطباق الذي يفيد التفخيم. وكانت السين لضعفها فيما تعرفه النفس وان لم تره العين، فصفة الهمس الذي تتصف به السين يتناسب مع الدلالة التي تحملها هذه الكلمة، فالدلالة اللفظية اقوى من الدلالة المعنوية.

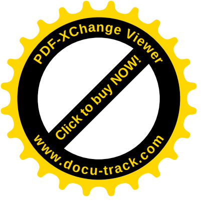
٤. نضح ونضخ

الاصل في دلالة مادة (ن ض ح) في اللغة هو رش الماء، قال اهل اللغة: يقال لكل ما رق نضح، ومنه نضح جلده بالعرق، قال ابو طالب:

بورك الميت الغريب كما بو.. رك نضح الرمان والزيتون [٥١]

ومادة (ن ض خ) قريبة في الدلالة من مادة نضح، إلا ان النضخ اكثر منه [٥٢]. والنضخ: شدة فور الماء في جيشانه وانفجاره من ينبوعه، قال ابو علي: ما كان من سفل إلى علو فهو نضخ وعين نضاخه اذا جاشت بالماء [٥٣].

وقد وردت مادة نضخ في القرآن الكريم، وصفا للعينين، قال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ (الرحمن: ٦٦). ومعنى (نضاختان) أي فوارتان، فجعلوا الحاء لرقتها للماء الخفيف، والخاء لغلظها لما هو اقوى منه [٥٤]. لأن الخاء من حروف الاستعلاء، والاستعلاء من أوصاف القوة، وحروفه تفيد التفخيم؛ لذا اكتسبت الكلمة قوتها الادائية في التعبير عن المعنى، من قوة صوت الخاء.




٥. وسل وصل

الاصل في مادة (و س ل) هو الرغبة والطلب، والواسل الراغب إلى الله تعالى، قال لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدر امرهم   بلى كل ذي دين إلى الله واسل (٥٥)

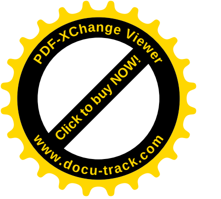
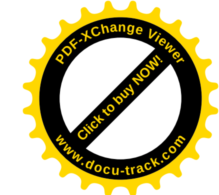
وتوسل اليه بوسيلة اذا تقرب اليه بعمل، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ (الاسراء: ٥٧) والوسيلة إلى الله سبحانه وتعالى هي مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة (٥٦).

وتأتي توصل بمعنى توسل، يقال: توصل اليه أي تلطف في الوصول اليه، وجاء في حديث عتبة والمقدام: انهما اسلما فتوصلا بالمشركين حتى خرجا إلى عبيدة بن الحارث. وتوصلا بمعنى توسلا وتقربا (٥٧).

فالوسيلة والوصيلة بمعنى بيد أن احداهما تتفوق على الاخرى في الدلالة؛ اذ ان الوسيلة اخص من الوصيلة، فالصاد اقوى صوتا من السين لما فيها من الاستعلاء المتمثل بصفة الاطباق، في حين أن السين يتصف بالهمس مما يجعله أضعف من الصاد. فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الاقوى، والسين لضعفها للمعنى الاضعف (٥٨).

ان التبادل الصوتي بين الكلمات يضفي عليها دلالات خاصة، بحسب ما يحمله الصوت من صفات؛ لذا فان دلالة الألفاظ تتقابل بما يشاكل اصواتها من احداث، فكثيرا ما يجعلون اصوات الحروف على سمت الاحداث المعبر عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها (٥٩).

وعن هذه الحالة في اللغة يقول السيوطي: "انظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فأوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني؛ فجعلت الحرف الاضعف فيها والألين والاخفى والأسهل والاهمس لما هو أدنى واقل واخف عملا أو صوتا، وجعلت الحرف الاقوى والأشد والأظهر والاجهر لما هو أقوى عملا وأعظم حسا" (٦٠).

المبحث الثالث

الزيادة في المبنى

الدلالة في اللغة العربية قد تخضع للزيادة والنقصان، تبعا للصفات التي يتميز بها كل صوت من اصواتها، من قبيل الشدة والرخاوة أو الجهر والهمس وما إلى ذلك مما سبق ان لاحظناه في التبادل الصوتي بين الأصوات اللغوية في بنية الكلمات.

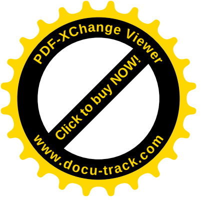
ولا يقتصر تأثير الرمز الصوتي في بنية الكلمة تبعا للمميزات التي يتصف بها الصوت، بل قد يكون التأثير في الدلالة ناتجا عن الزيادة الكمية في الأصوات، ولذلك قالوا ان كل زيادة في المبنى يتبعها زيادة في المعنى، وهذا ما سنلاحظه في الألفاظ القرآنية الاتية.

١. كسب واكتسب

الاصل اللغوي لمادة (ك س ب)، هو دلالتها على الابتغاء والطلب والاصابة [٦١]. والكسب ما يتحراه الانسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ ككسب المال [٦٢].

واختلف اهل اللغة في دلالة الكسب والاكتساب، هل يوجد بينهما فرق ام لا؟ فهناك من يرى انهما بمعنى واحد، في حين ذهب اخرون إلى القول بان بين اللفظين علاقة عموم وخصوص، فالاكتساب لا يكون الا ما يكتسبه الانسان لنفسه خاصة، والكسب يقال فيما اخذه لنفسه ولغيره [٦٣].

وقد وردت الكلمتان في موضع واحد من القرآن الكريم، بشأن الحديث عن النفس البشرية، وما يتصل بها من عمل خير أو شر، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦). يرى بعض العلماء ان الكسب هنا خص بالخير والاكتساب بالشر [٦٤]. وفصل ابن جني هذه المسألة بقوله: "ان كسب الحسنة بالاضافة إلى اكتساب السيئة امر يسير" قال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ (الانعام: ١٦٠). فالحسنة تصغر باضافتها إلى اجزائها، وجزاء السيئة انما هو بمثلها، فعلم بذلك قوة فعل السيئة على فعل الحسنة؛ لذا قيل: لها



ما كسبت وعليها ما اكتسبت، فزيد في لفظ فعل السيئة وانتقص من لفظ فعل الحسنة" [٦٥].

٢. أبطأ

الإبطاء: هو تأخر الانبعاث في السير [٦٦]. وجاءت هذه المادة في القرآن، الكريم لوصف قسم من الناس الذين يتخلفون عن القتال، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ (النساء: ٧٢). ومعنى يبطئ: اما ان ثبط غيره أو يكثر التثبيط في نفسه. والفائدة من هذا التشديد تكرر الفعل منه[٦٧]، للإيغال في تصوير الحالة التي عليها طائفة من الناس الذين يتخلفون عن الجهاد، فعبرت هذه الكلمة عن حالة المتقاعسين ابلغ تعبير ومن خصوا بالذكر في هذه الاية هم الذين ارادهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ (التوبة: ٣٨).

٣. تثاقل

الثقل والخفة لفظان متقابلان، فكل ما يترجح على ما يوزن به أو يقدر به، يقال هو ثقيل، واصله في الاجسام ثم يقال في المعاني [٦٨]. وجاء التعبير القرآني واصفا حال المؤمنين بالركون إلى الدنيا والتقاعس عن القتال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ (التوبة: ٣٨)، والمعنى ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه [٦٩].

والاصل في اثاقلتم: تثاقلتم فجاء بالتضعيف لكي يزيد في التعبير عن حالة التباطؤ في الجهاد في سبيل الله تعالى.

ان اضافة صوت إلى بنية الكلمة سواء كان ذلك بحرف من احرف الزيادة، كزيادة الالف والتاء إلى اكتسب، أو التضعيف كما في اثاقلتم ويبطّئ، فان ذلك مدعاة لزيادة الدلالة في هذه الألفاظ.

وقد تتبع ابن جني عدة مواضع من هذه الاشياء، فحصل على نتائج طيبة منها، واستحسنها قسم من اصحاب اللغة؛ اذ يقول: "ذاكرت بهذا الموضع بعض اشياخنا من المتكلمين فسرّ به وحسن في نفسه" [٧٠].




المبحث الرابع

الحروف المقطعة

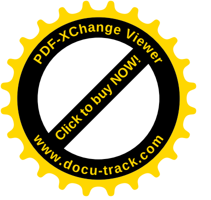
بدأت عدة سور من القرآن الكريم بهذه الحروف المقطعة، وقد كثرت الأقوال في تفسيرها، ومن اشهر ما قيل فيها ان هذه الحروف جاءت لتشير إلى ان بناء الكلام العربي يتكون من نفس أبنيتها، فمن هذه الحروف ما جاء على حرف واحد مثل:(ص ، ق، ن)، ومنها ما جاء بناؤه على حرفين مثل: (حم، طه، يس)، ومنها ما ورد على ثلاثة احرف مثل: (الم، الر، طسم)، وجاء القسم الاخر على اربعة احرف مثل: (المص، المر)، ومنها ما ورد على خمسة احرف مثل: (كهيعص، حمعسق) [٧١].

ففي هذه الحروف دليل إعجاز قرآني؛ لأنها تتحدى العرب وهم أرباب الفصاحة والبيان وتقول لهم: ان هذا الكتاب الكريم مؤلف من هذه الحروف التي تتألف منها لغتكم، فاتوا بمثله ان كنتم قادرين... ثم ان الرسول الكريم ﷺ، نطق بهذه الحروف بأسمائها وليس بأصواتها، وهذا لا يتأتى الا لرجل يعرف القراءة، فأنى له ذلك وهو المعروف بأميته، التي هي له فضيلة ولغيره رذيلة، فهذا دليل آخر على إعجاز القرآن الكريم، وانه من عند الخالق سبحانه وتعالى، وليس من عند البشر.

وذهب آخرون إلى أن هذه الحروف ما هي إلاّ سر من أسرار الخالق سبحانه وتعالى، أودعها في كتابه الكريم؛ إذ هي مما استأثر الله تعالى بعلمه، قال ابو بكر الصديق ﷺ : "لله في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور" [٧٢].

فهذه الحروف رموز بثها الخالق سبحانه في تضاعيف كتابه لكي يكتشفها البشر على مر العصور بقدر طاقتهم البشرية مصداقا لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣)

ومما توصل إليه الإنسان في العصر الحديث فيما يتعلق بهذه الحروف، ما جاء في الدراسة التي قام بها عالم مصري في أمريكا، هو الدكتور رشاد خليفة، إذ وضع سور القرآن في جهاز الحاسوب، فتبين من هذه الدراسة إن سورة (ق) التي بدأت بهذا




الحرف، قد تكرر فيها هذا الصوت ٥٧ مرة، وان هذه السورة قد تفوقت حسابيا على كل المصحف في هذا الحرف ففيها اعلى المتوسطات والمعدلات.

وكشفت الاحصائية ان سورة الرعد التي تبدأ بالحروف (المر)، قد كان ورود هذه الحروف كالآتي:

الألف وردت: ٦٢٥ مرة، ووردت اللام: ٤٧٩ مرة، ووردت الميم: ٢٦٠ مرة، وجاءت الراء: ١٣٧ مرة، هكذا بترتيب تنازلي، وبنفس الترتيب الذي رسمت به في المصحف (المر). فظهر ان أعلى المعدلات والمتوسطات لهذه الحروف هي في سورة الرعد، وقد تفوقت هذه السورة حسابيا في هذه الحروف على جميع المصحف.

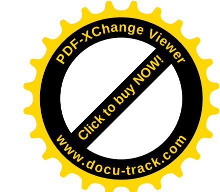
وقد انعكست الدلالة في سورة (يس)، لأن ترتيب الحروف قد انعكس اذ جاءت الياء قبل السين بعكس الترتيب الهجائي. ولهذا ورد حرف الياء، وحرف السين في السورة اقل من وروده في جميع المصحف، فالدلالة الإحصائية قد انعكست هنا (٧٣).

وتعد هذه الدراسة نقطة بداية، وليس هذا هو كل أسرار هذه الحروف، لأن دلالتها لا يمكن ان تقف عند حد، فما قيل فيها قديما وحديثا هو جزء من حقيقتها وليس كل الحقيقة. لأن كلام الخالق مطلق، فلا يمكن للإنسان المحدود ان يدرك ما لا يمكن للعقل البشري ان يحيط به.

المبحث الخامس
الغرابة في اللفظ

يمتاز القرآن، الكريم بأسلوبه الخاص الرصين؛ إذ جاء وفق نسق بياني فريد، فنظمه لا يشبهه نظم آخر فهو في الذروة السامقة من البيان العربي الذي لا يدانيه بيان، فالألفاظ والمعاني لها قوة تعبيرية ودلالة إيحائية عجيبة، بحيث لو رفعت كلمة ووضعت أخرى مكانها لما سدت مسدها، ولا يمكن ان تؤدي الدلالة نفسها التي قامت بادائها الكلمة الأولى. ومن ذلك كلمة ضيزى، التي تدل على الأكل في اصل وضعها اللغوي، قال الشاعر:

فظل يضوز التمر والتمر ناقع ... دما مثل لون الارجوان سبائبه (٧٤)

والاكل في كل شيء يؤدي إلى نقص المأكول، لذا فان هذه المادة قد اكتسبت معنى النقص بمرور الزمن كنتيجة حتمية للتطور اللغوي. ثم انتقلت دلالة هذه المادة من معناها المادي إلى مجال التعامل الاجتماعي، ومن ذلك قولهم: ضازه حقه يضيزه اذا منعه أو بخسه ونقصه [٧٥].

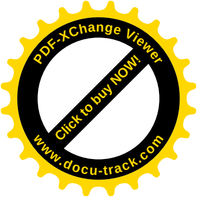
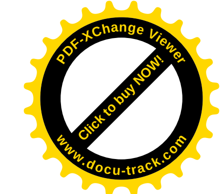
ودلالة المادة على الظلم أو الجور هي نفس دلالتها على النقص، لأن الظلم يعني نقصان الحق وعدم توافر العدالة فيه، قال امرؤ القيس:

ضازت بنو اسد بحكمهم ... اذ يعدلون الراس بالذنب [٧٦]

ولم ترد هذه الكلمة في القرآن الكريم مادة وصيغة الا في اية سورة النجم، قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى(٢١)تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ (النجم: ٢١- ٢٢). كان بعض العرب يكرهون البنات، وعلى الرغم من ذلك فقد جعلوا الملائكة بنات الله، فانكر القرآن الكريم صنيعهم هذا اشد الانكار، وعابهم على هذه القسمة الظالمة، فجاء التعبير القرآني بكلمة ضيزى وصفا لتلك القسمة، ولأن هذه القسمة تعد غريبة؛ اذ نسبوا لله ما يكرهون، لذلك آثر القرآن الكريم اغرب اللفظين، فقال قسمة ضيزى ولم يقل جائرة [٧٧]، لغرض بلاغي كي يتناسب اللفظ مع الحديث الذي سيق له.

ومجيء ضيزى في هذا الموضع لا يسد غيرها مسدها، لأن السورة كلها التي هي سورة النجم مجموعة على الالف المقصورة من أولها إلى آخرها، لذا جاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه [٧٨].

وصور الرافعي دقة التعبير القرآني في اختيار اللفظ المناسب وبراعته في حسن الأداء بحيث لا يمكن ان يقوم لفظ مقام لفظ، اذ يقول: "وفي القرآن الكريم لفظة غريبة هي من اغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط الا في موقعها فيه، وهي كلمة ضيزى، فان حسنها في نظم الكلام اغرب الحسن واعجبه، ولو اردت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها.. فكانت غرابة اللفظ اشد الاشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي انكرها. وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها الانكار في

الأولى والتهكم في الاخرى، وكان هذا التصوير ابلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهكم في انكاره من امالة اليد والرأس بهذين المدين فيها إلى الاسفل والاعلى... فكأن في تأليف حروفها معنى حسيا وفي تأليف اصواتها مثله في النفس" (٧٩).

وهكذا يتبين ان القرآن الكريم ينفرد من بين الكلام العربي، بإعجازه من حيث الاسلوب واختيار الألفاظ التي لا يمكن ان يحل غيرها محلها، فكلمة ضيزى ليست من الألفاظ الغريبة في القرآن فحسب، بل هي من الألفاظ الغريبة في تركيبها ايضا، اذ ليس في كلام العرب صفة على وزن (فِعْلى)، انما تكون على وزن (فُعْلى) مثل حبلى الا في ضيزى (٨٠).

المبحث السادس

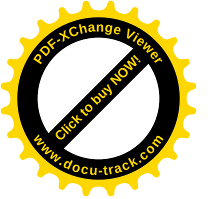
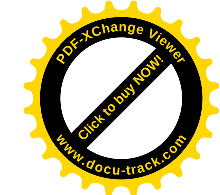
الهاء في نهاية الكلمة

الهاء: احد حروف الهجاء وهو من الحروف الحلقية، وردت الهاء زائدة في نهاية عدة كلمات قرآنية، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ(١٩)إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ (الحاقة: ١٩ – ٢٠). وكذلك وردت في أواخر الكلمات الاتية: (حسابيه، ماليه، سلطانيه) من سورة الحاقة في الايات: (٢٥، ٢٦، ٢٨).

ويطلق على هذه الهاء عدة تسميات منها: هاء الوقف أو الاستراحة أو السكت (٨١). وحكم هذه الهاءات ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل. وذهب جماعة من القراء إلى اثبات الهاء سواء كان ذلك في الوصل أو الوقف اتباعا لما مدون في المصحف (٨٢).

وقد وردت هذه الهاء في الشعر العربي؛ اذ انشد رجل من اهل المدينة ابا عمرو بن العلاء قول ابن قيس الرقيات:

ان الحوادث بالمدينة قد ... أوجعنني وقرعن مروتيه

فانتهزه أبو عمرو وقال: ما لنا ولهذا الشعر الرخو! ان هذه الهاء لم توجد في شيء من الكلام الا ارخته، فقال له المديني: قاتلك الله ما اجهلك بكلام العرب! قال الله عز وجل مشيرا إلى ايات سورة الحاقة، فانكسر ابو عمرو انكسارا شديدا. وكذلك الحال مع الخليفة عبدالملك بن مروان حين سمع هذا البيت، قال: يا ابن قيس لولا انك خنثت قافيته، فقال: يا امير المؤمنين ما عدوت قول الله عز وجل في كتابه يعني ما ورد في سورة الحاقة. فقال عبدالملك: أنت في هذه اشعر منك في شعرك [٨٣].

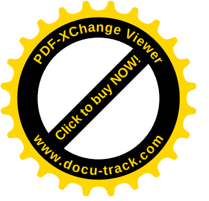
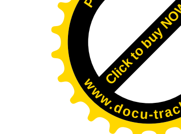
وخلاصة القول في هذه الهاءات: ان يوقف عليها ولا توصل، لأنها ادخلت للوقف، وقد حذفها قوم في الوصل، وفي ذلك مخالفة لرسم المصحف، ولما كانت هذه الهاءات في نهاية ايات القرآن الكريم؛ لذا فالاسلم ان يوقف عندها، تجنبا للاشكال الذي يحصل اثناء الوصل.

الخاتمة

للأصوات في اللغة العربية مخارج وصفات، وقد عمل العلماء العرب على دراسة هذه الأصوات وبلغوا شأوا بعيدا في تحديد مخارجها وبيان صفاتها، وكان الخليل بن احمد الفراهيدي على رأس هؤلاء؛ اذ يعد الرائد الأول في الدرس الصوتي عند العرب.

لقد تبين من خلال البحث ان للصوت دلالات يكشف عنها الاستعمال اللغوي للالفاظ، وان تكرير الصوت يعني تكرير الدلالة، كما هي الحال في الفعل الرباعي المضاعف؛ اذ يتكرر صوت فاء الفعل وعينه، وكذلك الحال في الفعل الرباعي المضعف العين مثل: غلّق وكسّر وما اليها، فان هذه الصورة للفعل تجعله يحمل دلالة الكثرة والزيادة.

ومن التبادل الصوتي اتضح ان اللغة تمتاز بالدقة في اختيار الألفاظ، التي تتناسب مع الموقف الذي تعبر عنه كما هي الحال في الهز والاز، فالألفاظ يجب ان

تكون ملائمة للمعنى المراد؛ فان كان فخما كانت الألفاظ فخمة أو جزلا فجزلة، أو غريبا فغريبة مثلما وجدنا ذلك في كلمة ضيزى.

وجاءت الحروف المقطعة في أوائل سور القرآن، لكي تثبت ان هذا الكتاب هو كلام الخالق المعجز، وليس من عند البشر.

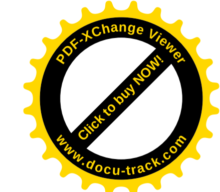
فلكل كتاب سر وهي من تلك الاسرار التي أودعها الخالق سبحانه في كتابه العزيز، يطلع من يشاء من عباده على جانب منها على مر العصور، لكي يتبين لهم بالدليل القاطع انه الحق الذي لا مراء فيه.

ان كل ما قيل ويقال عن القرآن الكريم ما هو الا نزر يسير مما انطوى عليه هذا الكتاب من اسرار ومعارف، فلكل كلمة منه حد ومطلع وظاهر وباطن، ويصفه الفخر الرازي بان تحت كل حرف من القرآن سرا، فهو البحر الذي لا قرار له ولا ساحل.

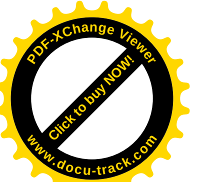
وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(١) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: حسام النعيمي: ٢٩٢.
(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٢٩٢.
(٣) الوجيز في فقه اللغة للانطاكي: ٣٩٩
(٤) فقه اللغة العربية: كاصد الزيدي: ٥٤.
(٥) اللسان: ٢/ ٤٧٧.
(٦) التفسير الكبير: ١٨/ ١٢٦.
(٧) معاني القرآن واعرابه: للزجاج: ٥/ ٢٥٥.
(٨) المفردات: ١٧٨.
(٩) اساس البلاغة: ٢٤٢.
(١٠) المفردات: ٢٠٥.

(١١) اللسان: ٤/ ٣٤٦.
(١٢) نفسه: ٤/ ٣٤٧.
(١٣) التفسير الكبير: ٩/ ١٠٨.
(١٤) صحيح مسلم: ١٨٤٤ باب الامارة.
(١٥) التفسير الكبير: ٣/ ١٨٧.
(١٦) ينظر: المفردات: ٢١٩.
(١٧) التفسير الكبير: ٦/ ١٨.
(١٨) الكتاب: ٢/ ٢١٨، ينظر: الخصائص: ٢/ ١٥٤.
(١٩) ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني: للصغير: ٢٤٠.
(٢٠) معاني القرآن واعرابه: ٥/ ٢٢٦.
(٢١) اللسان: ٦/ ٢٤٧.
(٢٢) التفسير الكبير: ٣١/ ٧٣.
(٢٣) المقاييس: ٥/ ١٢٤.
(٢٤) اللسان: ٧/ ٥٧٣.
(٢٥) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤/ ١٤١.
(٢٦) بصائر ذوي التمييز: ٥/ ٢٠٨، العشرق: شجر يغرس في الارض.
(٢٧) المفردات: ٥٣٧.
(٢٨) الأساس: ٦٧٤.
(٢٩) بصائر ذوي التمييز: ٥/ ٢٠٨.
(٣٠) التفسير الكبير: ٣٢/ ١٩٩.
(٣١) الخصائص: ٢/ ١٥٤، ١٥٦.
(٣٢) الخصائص: ٢/ ١٥٣.
(٣٣) اصلاح المنطق: لابن السكيت: ١٤٥.
(٣٤) المفردات: ٣٦٦.
(٣٥) التفسير الكبير: ١٨/ ٩٢.
(٣٦) اللسان: ٧/ ٤١٦.



(٣٧) الخصائص: ٣/ ٢٦٩.

(٣٨) ارتشاف الضرب من لسان العرب: ١/ ٨٤.

(٣٩) الاقتراح: للسيوطي: ٤٢.

(٤٠) اللسان:١/ ١٤١.

(٤١) بصائر ذوي التمييز: ٥/ ٣٢٢، الأوارك: الابل ترعى شجر الاراك.

(٤٢) المفردات: ٥٢٠.

(٤٣) الخصائص: ٢/ ١٤٨.

(٤٤) الجمهرة: ١/ ١٩، وينظر: الكشاف: ١/ ٤٤٧.

(٤٥) الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ١٣٨.

(٤٦) الجمهرة: ١/ ١٢٠.

(٤٧) المفردات: ٦٧.

(٤٨) مجاز القرآن: ١/ ٩٧.

(٤٩) جامع البيان: ٤/ ٧.

(٥٠) الكشاف: ١/ ٣٨٦، وفقه اللغة المقارن: للسامرائي: ٢٥٩.

(٥١) المقاييس: ٥/ ٤٣٨.

(٥٢) المقاييس: ٥/ ٤٣٨.

(٥٣) اللسان: ٨/ ٥٨٨.

(٥٤) الخصائص: ٢/ ٢٦٠؛ وينظر: المزهر: ١/ ٥٠.

(٥٥) المقاييس: ٦/ ١١٠.

(٥٦) المفردات: ٥٣٨.

(٥٧) اللسان: ٩/ ٣٢٢.

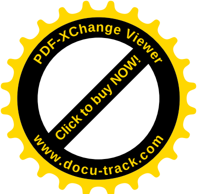
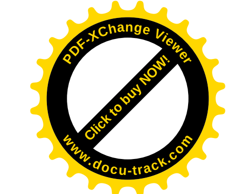
(٥٨) الخصائص: ٢/ ١٦٢.

(٥٩) نفسه: ٢/ ١٦٠.

(٦٠) المزهر: ١/ ٥٣.

(٦١) المقاييس: ٥/ ١٧٩.

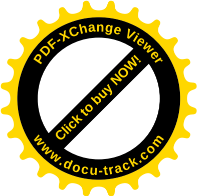
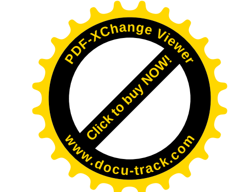
(٦٢) المفردات: ٤٣٣.

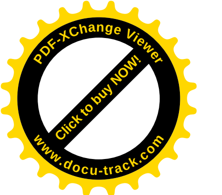
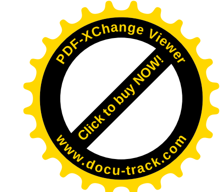
(٦٣) نفسه: ٤٣٣.
(٦٤) التفسير الكبير: ٧/ ٢٣٩.
(٦٥) الخصائص: ٣/ ٢٦٨؛ ينظر: اللسان: ٧/ ٦٥٦.
(٦٦) المفردات: ٦٢.
(٦٧) التفسير الكبير: ١٠/ ١٥٨.
(٦٨) المفردات: ٨٥.
(٦٩) التفسير الكبير: ١٦/ ٥٣.
(٧٠) الخصائص: ٣/ ٢٦٩.
(٧١) التفسير الكبير: ٢/ ٤.
(٧٢) نفسه: ٢/ ٤.
(٧٣) ينظر: حوار مع صديقي الملحد: مصطفى محمود: ١٠٨.
(٧٤) الجمهرة: ٣/ ٤. قيل هذا البيت في رجل اخذ دية اخيه تمرا فعيّر به.
(٧٥) العين: ٧/ ٥٢، والتهذيب: ١٢/ ٥٣.
(٧٦) سؤالات نافع: ٤٧، والبيت ليس في الديوان.
(٧٧) الاتقان: ٢/ ١٠٠
(٧٨) المثل السائر: ١/ ٢٦٤
(٧٩) اعجاز القرآن: ٢٦١
(٨٠) ليس في كلام العرب: ابن خالويه: ٥٥.
(٨١) المفردات: ١٢٤، وبصائر ذوي التمييز: ٥/ ٢٩٨.
(٨٢) ينظر: التفسير الكبير: ٣٠/ ١٠٢.
(٨٣) الخصائص: ٣/ ٢٩٦.

المصادر والمراجع

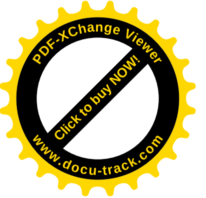
١. الاتقان في علوم القرآن: السيوطي، دار الندوة بيروت لبنان، ١٣٧٠هـ – ١٩٥١م.
٢. الاقتراح: السيوطي، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٣. ارتشاف الضرب من لسان العرب: ابن حيان الاندلسي، تحقيق: مصطفى احمد النحاس، مصر، ١٩٨٤م.
٤. اساس البلاغة: الزمخشري، دار صادر بيروت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٥. اصلاح المنطق: ابن السكيت، تحقيق: احمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
٦. اعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
٧. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، ١٣٨٥هـ.
٨. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: الرازي، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية بمصر.
٩. تهذيب اللغة: الازهري، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، الدار المصرية للتاليف والترجمة.
١٠. جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري، المكتبة الاميرية بمصر، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
١١. الجامع لاحكام القرآن: القرطبي، دار احياء التراث العربي بيروت، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
١٢. جمهرة اللغة: ابن دريد الازدي، دار صادر بيروت (د - ت).
١٣. حوار مع صديقي الملحد: د. مصطفى محمود، دار المتوسط للنشر والتوزيع.
١٤. الخصائص: ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد.
١٥. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: د. حسام النعيمي، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م، بغداد.

١٦. سؤالات نافع بن الازرق: تحقيق: د. ابراهيم السامرائي، مطبعة المعارف ببغداد، ١٩٦٨م.
١٧. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، شرح النووي، بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
١٨. الصورة الفنية في المثل القرآني: د. محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م، بغداد.
١٩. فقه اللغة العربية: د. كاصد ياسر الزيدي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٠. فقه اللغة المقارن: د. ابراهيم السامرائي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م.
٢١. الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢٢. كتاب العين، الفراهيدي، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.
٢٣. الكشاف: الزمخشري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٩٦٦م.
٢٤. لسان العرب: ابن منظور، المكتبة التوفيقية بمصر.
٢٥. ليس في كلام العرب: ابن خالويه، مطبعة قاصد خير في مصر، ١٩٧٦م.
٢٦. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر: ابن الاثير، تحقيق: د. احمد الحوفي، دار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٧. مجاز القرآن: ابو عبيدة، دار الفكر، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.
٢٨. المزهر في علوم اللغة وانواعها: السيوطي، دار الجيل، بيروت، (د. ت)
٢٩. معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، تحقيق: د. عبدالجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٣٠. معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مصر، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
٣١. المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني، راجعه وقدم له: وائل احمد عبدالرحمن، المكتبة التوفيقية، (د. ت)




٣٢. الوجيز في فقه اللغة: محمد الانطاكي، المطبعة الحديثة بحلب، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م.

Abstract

The meaning and the kinds of Voice in Holy Quran

There is a link between the pronunciation of certain words and the meaning of those words in Arabic. This can be clear throughout some verses in the Quran. This Kind of phonetic study was in the Holy Quran in different types. One of these types is the repetition of cetain sound such as Zalzala and Kabzaba and the like. So there are certain sounds repeated in a single word.

This research tackles so many points. The first point is the repetition of this kind of verb, while the second point discusses the different use of some phonetic phenomenon. Whereas the third point tackles the increase in the pattern of the verb, and the fourth point discusses the addition "h" sound in pronunciation at the end of centain words in some vocabulanes in the holy Quran.

The idea of phonetic and the ancient meaning began in the ancient Romoe, later it transferred to sone Arabscientists. Not only the Arab scientists dealt with this subject but it transferred in to the common people in studying how the words are pronounced and the meanings of those words.

This atteunpt is used to show uhat is there in the Holy Quran and the link between the linguistic voice and the meaning it self. I hope that I did my best to show the main diffenences between them.